يكون انتقالنا عنها (وانتقلنا) على وجه تقليدي أيضا فلا يفيد لكن الوقت لم يفت بعد فعلى من يريد بنا خيرا ان يذهب بنا طريقا قويما ولا أراه الا نشر القوانين (وان كانت طويلة صعبة المنال في وقتنا هذا وما لا يدرك كله لا يترك كله) أنما لا يكتفي بنشرها على لسان الجرائد فان قارئها قليل ولا بارسال المنشورات الى عمد البلاد فان كثيرا منهم قلما يفهم اذا قرأ ولكن لا بد من تشكيل جمعيات في القرى والمدن لتفاهم القوانين واللوائح والمنشورات والا ضاعت الحقوق وكثرت المشاكل وصعب كبح صغار المأمورين عن الاجراآت المضرة بالحكومة والاهالي معا ثم وضع حدود قوية للاعمال الشخصية والاخلاق والتصرفات فان اصلاح الاخلاق والافكار والاعمال من أهم واجبات البلاد وبدونه لا يمكن اصلاح شيء من أمورها وليس بجائز أن يجعل في درجة أقل من درجة قوانين حفظ الضبط والربط

ومركز النظر في جميع ذلك نبهاء البلاد وذوو الشأن فيها فعليهم ان كانوا صادقين في الوطنية ان يبذلوا الجهد في طلب ذلك والقيام بما يلزم والا فانهم مقلدون فقط والله أعلم

وكتب في العدد ١٤٠٠ الصادر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٩ — ٤ مايو سنة ١٨٨٢

التمرن والاعتياد

حصول صورة الشيء في النفس علم وميلها الى طلبه أو تركه ارادة والتصميم على أحد الامرين عزم وليس بعده الا الطلب بالفعل أو الترك والترك لا يحمل النفس كبير مشقة سوى الوقوف على كون المتروك من الامور التي تكلف بها النفس تكليفا ضروريا أو كاليا كان من الامور المباحة أو المحظورة فاذا وقفت على حقيقته انصرفت عنه انصرافا

أما الطلب فهو أحد الامرين التي يحمل النفس عناءين أحدهما يتعلق بها من جهة قوتها الفكرية والثاني من جهة القوة العملية المودعة في أعضاء البدن والاول مقدمة الثاني وسابق عليه ونسبته اليه نسبة أرباب الحل والعقد ورجال التنفيذ نسبة الامرين المتضايفين لا يوجد أحدهما بدون الآخر

أما الاول فهو البحث في أصل الطلب واستقصاء مايعود منه على الطالب أوغيره من المنافع والتنقيب عن الوسائل التي توصل الى الغاية بلا مشقة ولا فوات منفعة وتقدير الاعمال إزاء الفائدة لتكون المنفعة مساوية على حكم التبادل في الاعمال البشرية أو زائدة عنها على أصل التفاضل وذلك كله انما يكون بعد ان نعرف نسبة الطلب الى غيره من المطالب ليترجح عما سواه بخاصية من الخواص حتى لا يلزم على الشروع فيه الترجيح بلا مرجح هذا شرح حال العناء الاول وليس بعده الا الشروع في العناء الثاني عناء الاعمال البدنية

أما فوائد الاعمال فهي وان كانت جزئياتها غير قابلة للدوام والاستمرار اذ هي نتيجة أعمال متجددة وكل متجدد فنتائجه كذلك ولكنها تقبل الدوام بكليات أنواعها دواماً غير مطلق والطالب لايستغني عن هذه الفوائد وقتاً من الاوقات وكيف يستغني مع أن الحامل له على العمل حاجته الى فوائده سواء كانت من الضروريات أوالكماليات فهو محتاج الى دوام الفوائد ودوامها يتوقف على دوام الاعمال وهو أمر موقوف على العامل وليس ادمانه العمل المطلوب في موضوعنا هذا أمرا من لوازم وجود ذاته فيحتاج الى صفة زائدة تقضي عليه ان يكون دائم العمل بقدر الحاجة وليس احتياجه كافيا لهذا الاقتضاء اذ ربما تحتقت الحاجة بدون أن يتحقق دوام العمل والا لم نسمع بذكر التهاون والكسل والاهمال وما شا كلها على أن الحاجة متفاوتة فما كان منها في الدرجة الاولى درجة الاضطرار البحت فهو بنفسه كاف لادمان العمل بخلاف ما كان منها في الدرجات الثانوية فما فوق والصفة القاضية بالادمان أي المتممة لعلته هي التمرن والاعتياد

و بعبارة أوفق بالغرض: ان مالا تدعو اليه الحاجة أصلا في زمن من الازمان قد تدعو اليه في زمن آخر لا لسد الاضطرار البحت بل لما زاد عنه من الحاجات الثانوية كالكماليات والمحسنات وقد تدعو اليه بعد زمن طويل أو قصير لسد الاضطرار البحت فلا يجد الانسان عنه فرارا فيتكلفه مقهورا مقسورا يتصور المنفعة على بعد ولكنه غائب في دهشة آلام الاعمال التي لم يتكلفها يوما من الايام لولا حكم الصروف والحادثات التي تقلبه على بساط القهر تقلب العصفور

في يدي الطفل فلا يزال يحس بالالم و يدمن العمل حتى يهون عليه شيئاً فشيئاً الى ان يزول الألم بالكلية ولا يجد الا عملا بدون ألم فاذا مضت برهة بعد الابتداء يحس من نفسه بعض الميل الى العمل فكأن الألم الاول استحال الى ضده (على حكم تلاقي الطرفين) و يجد منه باعثا طبيعياً اليه وهكذا يزداد الميل و يشتد العشق حتى لايميل به الكسل يوما ما الى اهمال العمل وهذا هو المقصود من التمرن والاعتياد

أما كون الشيء ربما يكون ضروريا في وقت دون وقت فالامر فيه وان كان على ما أظن لايحتاج الى البيان غير اني بحكم الحاجة لتوضيحه لبعض الناظرين أقول

ان الانسان من حيث هو مفكر لايقف عند حد محدود فيما يتعلق بلوازم حياته وهو في ذاته غير مكلف بكل فرض مطلوب بعده من قبيل التمدن أو الحضارة أو الترف في المعيشة أوغير ذلك بل يكفيه مايسد الرمق من القوت و يقيه الحر أو البرد من اللباس ويكنه وقت الايواء من البيوت غير أنه لما تأنق في هذه الضروريات بعض التأنق ورأى أنها تقبل التحسين شيأ فشيأ أخذ على نفسه أن لايقر له قرار ولا يهدأ له جاش حتى يستخرج من دائرة الامكان كل ماتتأدى اليه فكرته فجد واجتهد واستطلع بقوة النظر يقخواص العناصر فحسبها عند ما اكتشف منها معدات تساعده على غرضه أنها لم تخلق الا له فتسلط عليها بصفتي التحليل والتركيب حتى فتح أبوابا للتجارة والزراعة والصناعة ووصل الى ما وصل اليه الآن وهو في هذا السير الطويل يتحمل أثقالا على أثقال كلما وصل منه الى درجة ظنها آخر الدرجات وحسب نفسه فيها غريبا فيتخذ نتائج تقاليدها الغريبة زينة شأن كل أمر غريب نادر الوجود اذ كل نادر عزيز قال الشاعر

سبحان من خص القليل بجزه　　والناس مستغنون عن أجناسه
وأذل أنفاس الهواء وكل ذي　　نفس لمحتاج الى أنفاسه

فاذا توطنت نفسه الى هذه الغرائب زمنا استزاد منها حتى يبلغ بها حد

الكثرة فيستعملها في لوازمه الضرورية في كافة أحواله ولا يخص بها وقتا دون وقت الى ان تصير من قبيل الأمور المعتادة التي لايستغني عنها بحيث يعتبر كل ما كان أقدم منها وفي درجة قبلها من التقاليد ساقطاً عن درجة الاعتبار وغير جائز الاستعمال و يتوهم أن استعماله في الحالة التي وصل اليها يزري بعقامة المنيف و يحط بمقداره الشريف ولا يتذكر أنه هو هو الانسان أيام كان يقتات بسائط النبات و يستتر بأوراق الاشجار و يأوي الكهوف والأغوار فبان بما ذكر أن الشيء قد يكون ضرورياً في وقت دون آخر

ومن وجه آخر نقول انا اذا سبرنا أخبار الأمم نعلم يقيناً ان الهيئة الاجتماعية البشرية ماوصلت الى درجة من درجات التمدن والحضارة في وقت من الأوقات دفعة بل لابد كما يشهد العيان ان تسبق أمة من الأمم الى غاية في المدنية فاذا نظرت الى جارتها وقد بقيت في مركزها متأخرة عنها والانسان (قتل الانسان ما أكفره) بحكم الحيوانية مطبوع على التعدي والشره فتفاخرها بما يدهش العقول و يبهر الخواطر من صناعاتها الغريبة وأوضاعها الجميلة فترمقها تلك بعين الذاهل المندهش وتتوهم أن ضعفها واقعي فتنقبض نوعا من الانقباض فاذا توسمت فيها هذه الانكماش والذعر (الخوف) أخذت تهددها بما تقلب عليها من ضروب الحيل والدهاء و بما تتظاهر به من قوة الجند وكثرة العتاد فتقف تلك وقفة الحائر المتفكر الى أن يرشدها التأمل الى أن هذه ما وصلت الى ماوصلت الا بالعلم والعمل المتوقفين على الكد والاجتهاد فتندفع وراء الجد بحكم الاضطرار حتى تصل الى ماوصلت اليه أو تكاد غير ان تلك أيضا بعد ان تذوق لذة التقدم وتنسيها سكرة التيه طعم الذل الذي كانت تقاسيه تحت رهبة جارتها الأولى تعامل الأمة المجاورة لها أيضاً بمثل ما كانت تعامل به في مبدأ الأمر حتى تضطرها كذلك الى ان تركب متن الاجتهاد في السير وراء من تقدمها وهكذا كلما دخلت أمة من باب كلفت به من يجاورها من الامم حتى تنتظم الامم جميعا في سلك واحد في هذا الباب ولكن حيث ان حب التسابق طبيعية في الناس فلا تراهم يقفون لدى نقطة بل متى وصلوا الى حد ما من حدود التقدم

فلا يمضي زمن طويل حتى يقال ان أمة كذا انتهزت فرصة عظيمة وفتحت بابا من أبواب التقدم عاد عليها بالنماء في الاموال والانفس والثمرات و بات مجاور يها يخشون بأسها و يرقبون حركاتها فتضطرب الهيئة الاجتماعية البشرية من هذا النازل الذي لم يكن في الحسبان ولا تسكن خواطر بقية الامم والممالك حتى ينساقوا الى هذه الخطوة التي خطاها غيرهم على غفلة منهم وهم كارهون . فبان ان الامم قد يحتاجون في زمن مالا يحتاجونه في آخر فصدق القول أن الشيء قد يكون ضروريا وقد لا يكون

وما ذكرناه من التقلبات والتنقلات يحكي حال الجمعية الانسانية من يوم ان تفرقت شعوبا وقبائل يتخالفون في العوائد والاخلاق فيتنافسون و يتحاسدون على التعمير والتطهير و يغلب عليهم حب الذات والميل الى الخصوصيات فيدعون أنهم أجناس شتى ولا يزال حالهم كذلك يتقلبون على جمر الشحناء و يعذبون بعوامل البغضاء فتارة ترمي بهم الاطماع في مخاليب التكلف ومشاق التنقل من حال الى حال فيضطربون لهذا الأمر اضطرابا و ينقبضون منه انقباضا وآونة يلقي بهم الجهد الجهيد بعد أن يروا من الصعوبات ألوانا في بوادي الراحة عند ما يصلون الى نقطة التمرن والاعتياد ولكنها نقطة غير ثابتة كما أن درجات تقدمهم غير متناهية فلا يزالون يترددون من التعب الى الراحة حتى يرجعوا الى المجرى الطبيعي فيلتئمون بعد التفرق و يرفعون عن أعينهم حجاب هذا التشتت

و ياليت شعري ماهو النازل الذي حل بالانسان فغير معالمه الطبيعية و بدل أخلاقه السلمية وحل رابطته النوعية والا فعهدنا به ان لم نقل انه من أم وأب تسلسلا جدليا فهو من نوع واحد يشف مرآه عن الوحدة التامة الناطقة بأن الانسان من جرثومة واحدة نشأ عنها عائلة واحدة حواها بسيط واحد و بطنها عادات وأخلاق متحدة الصفة ولقد رمزت تعاليمه الحاضرة — التي منها وهو أكبرها تعميم المواصلات وتأكيد الروابط بين الممالك وحركة الاجتماع والتألف — الى هذا السر المكنون و بشرتنا المحافظة العامة على دعائم السلام والراحة العموميين حفظا لحقوق الانسان وصونا لذمة الشرف بان الحركة العمومية موجهة الى النقطة الاولى

وكلما قربت الى المركز زادت سرعتها شأن كل حركة طبيعية ولقد أثرت هذه الحال تأثيرا خفيا في الجم الغفير من عقلاء الناس فمالوا الى خدمة الانسانية من غير ان يتعصبوا لجنس ولا دين ولا مذهب فاذا رجع الانسان الى مركزه الطبيعي لاترى الجمعية البشرية بعد إلا كما كني منزل واحد يرتفقون بمنافعه على السواء ويجدون من بركات الارض مايكفيهم مؤنة التعب ويكفهم عن الشقاق والعناد اذا أصاب قبيل منهم منفعة عادت على الجميع بدون اختصاص على حكم تبادل الاعمال واذا نزل بقبيل نازل توجه الكل الى انقاذه مما ألم به وساروا جميعا على وفق القانون الطبيعي المودع في فطرة الانسان يهديه اليه من علم الطير النياحة ومرنه على السباحة ثم لاترى فيهم اذ ذاك مايحتاج معه الانسان الى كلفة وعناء بل لاترى الا أعمالا جارية على منهج السهولة منهج التمرن والاعتياد اه من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام

باب المراسلة والمناظرة

الدين كل ما جاء به الرسول

حضرة الفاضل المحترم صاحب مجلة المنار

أطلعت على المقال المندرج في الجزء السابع من المنار لحضرة محمد أفندي توفيق تحت عنوان (الدين هو القرآن وحده)

فأدهشني العجب لما رأيته فيه من الفلسفة الخارقة التي لم يسبق لها مثال اذ قرر حضرته هدم دعامة من دعائم الدين واجتث أصلا ثبتت جذوره في قلوب جميع المؤمنين (ثم ان الكاتب لخص المقال بنحو عشرة أسطر تلخيصا يمكن النزاع فيه على انه لاحاجة اليه ثم قال مانصه)

ولعمري لولم يكن الرسول مبينا لأحكام الله التي لم تفصل في التنزيل ككيفية الصلاة من ركوع وسجود وتسبيح وتهليل ومشرعا لما لم يرد في القرآن حكمه وان ما يبينه أو يشرعه واجب الاتباع تعطلت وظيفته وكان اقتداء الصحابة به وتعلمهم منه عبثا وباطلا فقل